



علي الغاياتي

الشاعر المعاند



أن يثور الإنسان من أجل كرامته.. فهو بهذا يحقق إنسانية الإنسان..
وأن يثور من أجل وطنه.. فهو بهذا صاحب رسالة نضالية لا تضع من
ذاكرة التاريخ. ومن هؤلاء الذين حملوا الوطن رسالة في قلوبهم نابضة
مشتعلة بلا انطفاء الشاعر والكاتب على الغاياتي.

والغاياتي من مواليد دمياط عام 1885 لأسرة دينية عريقة.. ولهذا
دخل الكتاب طفلاً لم يتجاوز السادسة من عمره.. وحفظ القرآن في عامين
فقط.. ثم أرسله أبوه إلى المعهد الديني.

وكانت دعوة جمال الدين الأفغاني قد انتشرت في أنحاء البلاد..
وعكف عليها بعض الطلاب وفي مقدمتهم علي الغاياتي.. فأعجب بها وبما
تدعو إليه من نبذ الخرافات التي لحقت بالإسلام.. كالتوسل بغير الأعمال
الصالحة.. والتقرب من الأولياء.. والتوكل والاستسلام.

ويضيق شيخ المعهد بالغاياتي فطرده ومنعه من تلقي الدروس.. فخرج
الغاياتي من المعهد ليعمل مدرساً بإحدى المدارس الابتدائية الخاصة.

ثم رحل الغاياتي إلى القاهرة في عام 1907 والتقى بالأدباء والمشايخ
كما التقى بخليل مطران شاعر القطرين وعرض عليه تجاربه الشعرية
فأعجب بها.. وجعله محرراً بجريدة (الجوائب المصرية) التي كان يصدرها
مطران.

وحدث أن تجرباً أحد مشايخ المعهد الديني بدمياط ودعا إلى رفض

الخرافات والبدع التي اعتنقها شيخ المعهد وبعض شيوخه.. فحوكم هذا الشيخ أمام مجلس إدارة الأزهر.. وحكم عليه بمنعه من التدريس وقطع مرتبه..

فأخذ الغاياتي يكتب في هذا الموضوع في (الجوائب).. فدبر له أعداؤه مكيدة تتعلق بالتجنيد في الجيش.. وسجن في قشلاق العباسية إثني عشر يوماً (1907) تحت التحقيق لاقى فيها العنت والتعذيب ثم أطلق سراحه.. وفي ذلك يقول موضحاً موقفه من العلماء الذين خاصموه:

يا معشر العلماء أصبح دينكم

هدفاً لسهم الناقد المتبع

فإلى متى لا تعقلون وقد غدت

أعمالكم أحدى المستفزع

إنى نصحت لكم فلم ينفعكم

نصحي وذنبي أنه لم ينفع

يا ويل من عبدوا القبور وأشركوا

بالله بين توسلٍ وتضرع

يا قوم إن أولئك العلماء قد

جعلوا الشريعة سلماً للمطمع

فهلهم ننبذ رأيهم ونرى لنا

رأيا تنزهه عن فساد المنزع



ونشُنُّ غارتنا عليهم كلما
شنوا علينا غارة المتجمع
حتى نردهم إلى الإسلام أو
نذر العائم بالمقام الأشنع
وهناك يصبح دين أحمد خالصاً
لله .. لا للأولياء الأربع

وتتوالى الأحداث الوطنية وينخرط الغياقي في الحزب الوطني الذي
كان يرأسه مصطفى كامل .. فأخذ يسانده ويكتب الأشعار الوطنية التي
تندد بالاحتلال والخيديوي .. واستبداد الأجانب .. ومصادرة الحرية ..

وفي عام 1910 أصدر الغياقي ديوانه (وطنيتي) .. ويمثل هذا الديوان
ما تميز به الغياقي من وطنية وشجاعة وجرأة فقد تناول مسلك الخديوي
عباس ومسلك الإنجليز ووزراء الحكومة وانتقد تصرفاتهم انتقاداً لاذعاً ..
من ذلك قوله مخاطباً الخديوي عباس:

أعباسُ هذا آخر العهد بيننا
فلا تخشَ منا بعد ذاك عتابا
أيرضيك فينا أن نكون أذلة
ننال إذا رمنا الحياة عقابا
ونياس من آمالنا فيك كلما
قضيت علينا أن نكون غضابا



وأرضيت أعداء البلاد وأهلها
وأصليتنا بعد الوفاق عذابا
رويدك يا عباس لا تبلغ المدى
ولا تستمع للظالمين خطابا
ألا أمطر الله الوزارة نقمة
ولا بلغت ممن تروم مراما
تحاول أن تقضى علينا بإثمها
ولكن ستلقى بعد ذاك أثاما
وزارة خدّاع أقامته بيننا
يد الحاكمين الأثمين فقاما

وكان الغاياتي قد أهدى نسخة من الديوان إلى صاحب المؤيد وفيه نقد
للصحيفة.. فاستعدى صاحب المؤيد السلطة عليه ونشر بعض القصائد
التي تدينه ومنها:

رب إن البلاد أرهقها الظل — ثم وحاقت بأهلها البأساء
رب إن الصدور أخرجها الوج — دُ وأودت بحملها الأرزاء
فتدارك بلطفك النيل حتى لا تجارى حياة مصر دماء
ومن القصائد الأخرى أيضا (نحن والاحتلال) والتي يقول
فيها:



كفكفى يا مصر دمع الوجلي وارتقب يا نيل نيل الأمل

جاوز الصبر المدى والصدر لم يبق فيه الوجد من محتمل

كم شقاء كم بلاء كم أذى أى حال بعد ذا لم يُحل

ضجّت الأهرام فى موقفها وجرى النيل بدمع هطل

ثم يقول مستحثا هم الشعب:

أيها الشعب أفق ولى الظلام م ولاح النور للمستبصر

فدع النوم وقف مستخبراً هل لمصر فى الورى من خبر

وانهض اليوم ولا ترقب غدا وادفع الشر بسيف الحذر

إنما الآلام آمال وفى قدرة الشعب مدار القدر

وكان الديوان تضمن مقدمتين أحدهما للزعيم محمد فريد والأخرى للزعيم عبد العزيز جاویش.

ويتلقى ولاة الأمر فى مصر هذا الديوان بغضب وعنف ليصادر الديوان فور صدوره.. ويقدم صاحبه للمحاكمة.. ويحكم عليه غيابيا بالحبس سنة..

ونصح الغياقي بمغادرة البلاد على وجه السرعة قبل أن يقبض عليه ويودع السجن.

ويتنكر الغياقي فى اسم آخر (محمود) وفى هيئة أخرى غير هيئته المعممة ويبحر بصحبة ضابط تركي تعرف عليه إلى الآستانة.. ويصل إليها فى 12 يوليو 1910.

وكان الحكم على الغياطي وعلى كاتبي المقدمة.. فأدخل الكاتبان السجن ونفى الغياطي نفسه إلى الأستانة.. وهناك التقى بعدد من كبار العرب والشرقيين المقيمين هناك مثل محمد رشيد رضا وعزيز المصري.. وسليمان الباروني وغيرهم.

ثم يرحل الغياطي إلى سويسرا وتعلم الفرنسية ونزل في (بنسيون) صغير.. وتعرف إلى الدارسين المصريين هناك.. وأخذ يدرّس العربية لمن يرغب.. ويتزوج بإحدى فتيات سويسرا.. وأخذ يكتب في الجرائد الأوروبية حتى قامت ثورة 1919 فأسس في سويسرا جريدة (منبر الشرق) يدافع فيها عن مصر وقضاياها وكانت تصدر بالفرنسية وفيها صفحات بالعربية. وظل الغياطي يصدر الصحيفة في سويسرا تبعاً منذ عام 1912 حتى عودته إلى الوطن (1937) وفيها نشر أبياته:

أدركوا الإسلام في دولته	هتك العادون من حرمة
أمطروا النيران في أوطانه	صعقوا الأرواح في أمته
حاولوا تمزيقه في أرضه	ومضى كل إلى طعنته

ولما زار الشاعر مصر عام 1934 ورأى سوء الأحوال السياسية الحزبية نشر قصيدة يقول فيها:

فلا الدستور في أمن	ولا الوزراء والقصر
ولا استقلال في بلد	به العادون قد قروا
معاقله لهم حصن	ونحن لجندهم أزر
ولولا أننا شيع	يحارب شطرننا الشطر



لما أضحى لنا ظلٌ ولا أمسى لنا ذكرٌ

ويعود الغياقي إلى وطنه من منفاه رجلاً محنكاً عاقلاً فيلسوفاً قائلاً:

باسم الكنانة واسم شعب ناهضٍ

لا باسم أحزاب ولا زعماءٍ

كل يزول وينقضي أما الحمى

فوديعه الآباء للأبناءِ

ويصدر (منبر الشرق) بالعربية.. ويعيد طبع ديوانه (وطنيتي) عام 1938 لكن القلم السياسي في قسم عابدين صادر الديوان مرة أخرى.. فأصدر طبعته الثالثة عام 1947 بعد انتهاء الحرب العالمية الثانية.

ويطول به العمر.. ويشهد قيام ثورة 23 يوليو 1952 وتأميم قناة السويس (1956) ورحيل الاحتلال البريطاني عن مصر فirtاح قلبه.. ويرحل عن الدنيا راضياً في 26 أغسطس عام 1956 بعد رحلة نضال ونفى وعذاب واضطهاد صنعت منه فارساً من فرسان الكلمة الصادقة.